رأي القدس

تهديدات «القاعدة» لبريطانيا

■ تعيش بريطانيا حالة من القلق بعد تسريب تقارير امنية الى الصحف ووسائل الاعلام المرئية تفيد بان تنظيم «القاعدة» استطاع ان يؤسس خلايا سرية على طراز التي انشأها الجيش الجمهوري الايرلندي، وانه اي تنظيم القاعدة، يضع تنفيذ ضربات ضدها على قمة اولوياته.

وما من شك ان بريطانيا مستهدفة من قبل تنظيم «القاعدة» بسبب علاقاته الخاصة والمتميزة مع الادارة الامريكية، وتورط قواتها في حربي العراق وافغانستان، ودعم حكومتها للعدوان الاسرائيلي الاخير على لبنان، ولكن القول بان تنظيم القاعدة يخطط لتنفيذ هجمات فيها على غرار هجماته التي استهدفت برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك، فان الامر قد ينطوي على الكثير من المبالغة.

فاذا القينا نظرة فاحصة على هجمات تنظيم «القاعدة» السابقة، نخرج بنتيجة مفادها انه من النادر ان يكرر التنظيم هجماته في بلد ما، وغالبا ما تلجأ خلاياه الى اختيار اهداف اخرى في بلد آخر، الا في حالات محدودة جدا، مثل اليمن حيث نفذت هذه الخلايات عمليتين واحدة استهدفت المدمرة الامريكية كول في ميناء عدن والثانية لناقلة نفط فرنسية قبالة سواحل الحديدة الميناء اليمني على ساحل البحر الاحمر.

وما نخشاه ان تكون مثل هذه التسريبات حول خلايا القاعدة في بريطانيا، تأتي في اطار «سياسة التخويف» التي تتبعها الحكومة من اجل صرف الانظار عن حروبها الفاشلة وغير الشعبية في كل من العراق وافغانستان، وهي الحروب التي تواجه انتقادات متسارعة من قبل معظم الكتاب والسياسيين البريطانيين، وانتقلت بصورة غير مسبوقة الى جنرالات المؤسسة العسكرية.

فالتصريحات التي ادلى بها ريتشارد دانات رئيس هيئة اركان الجيش البريطاني، اعترف فيها بشكل مباشر بفشل القوات البريطانية والامريكية في تحقيق اهدافها من احتلال العراق اي اقامة ديمقراطية مستقرة، وطالب بسحبها في اسرع وقت ممكن بعد ان تحول وجودها الى عامل استفزاز وعدم استقرار في المنطقة.

وأيا كان الهدف من هذه التسريبات فانها ستنعكس بشكل سلبي على الجالية الاسلامية في بريطانيا البالغ تعداد افرادها مليونا ونصف المليون نسمة، فهذه الجالية متهمة بايواء متطرفين، وربما ارهابيين ايضا، والقول بان تنظيم القاعدة نجح في اختراقها وبناء «خلايا ارهابية» في وسطها، سيؤدي الى تعزيز هذه الاتهامات، ووضعها في موضع الدفاع عن النفس.

المشكلة مع التقارير الامنية هي الطبيعة السرية للاجهزة الامنية التي تتعاطى بها، ولذلك يصعب التأكد من مضامينها والجزم بصحتها، كما ان التشكيك فيها وفي مصادرها ايضا يظل مسألة غير علمية وغير موضوعية، لان احداث السابع من تموز (يوليو) العام الماضي اثبتت ان تنظيم القاعدة قادر على الوصول الى قلب العاصمة لندن وتفجير انفاقها، وقتل حوالي ستين شخصا من ابنائها.

بريطانيا تعيش حاليا حالة متطرفة من «الاسلاموفوبيا» ولا تخلو الصحف ومحطات التلفزة من برامج حول مسائل تخص الجالية ابتداء من النقاب وانتهاء بالارهاب، والقول بان القاعدة تستهدف بريطانيا سيجعل حالة العصاب هذه تتفاقم.

بريطانيا تواجه خطر الارهاب بسبب سياساتها الخارجية، وتورطها في حرب عبثية في العراق، ولكن هذا لا يبرر استهداف مدنييها باي اعمال عنف وارهاب.

بيكر وتمحيص الاحتلال: هل العود أحمد للعراقيين؟

صبحي حديدي *

■ ليس مفاجئاً أن تحذوا معظم الصحف الأمريكية، وبينها الكبرى الأساسية، حذو الكثير من الصحف العربية التي عزت ازدياد الخسائر الأمريكية في العراق إلى عامل مركزي واحد راهن: شهر رمضان، حيث أجر الشهادة أجزى للشهيد كما عبّرت صحيفة «لوس انجليس تايمز»، في نقلة مفهومية دراماتيكية تكاد تتبنى مفردات الخطاب العقائدي للمنظمات الإسلامية الجهادية المتشددة. الخسائر البشرية الأمريكية في العراق بلغت اليوم الرقم 2783، ولعلّ هذا ما أجبر الرئيس الأمريكي جورج بوش على الإقرار بأنّ الحال الراهنة في العراق تشبه وضع القوّات الأمريكية في فييتنام عشية «هجوم تيت»، أي المعركة التي وقعت سنة 1968 وكانت نقطة انقلاب الرأي العام الأمريكي ضدّ الحرب وضدّ الرئيس لندون جونسون شخصياً.

وإذا كانت هذه خسائر بشرية ـ عسكرية في التسمية الأولى، فإنّ تسمياتها الأخرى ذات الطابع السياسي والأخلاقي والنفسي والثقافي لا تعدّ ولا تحصى، ومثلها استطالات الحال العسكرية إلى مواقف ولجان استقصاء وقوانين وتشريعات جديدة كانت الديمقراطية الأمريكية تظنّ أنها لن تسنّها في أيّ يوم وتحت أيّ ظرف. وهكذا وقّع بوش قراراً رئاسياً جديداً يحصّن عملاء المخابرات المركزية الأمريكية من المساءلة القانونية جرّاء قيامهم بعملهم في ما يسمى «الحرب على الإرهاب»، كما يجيز استخدام تقنيات أكثر شدّة في التحقيق (وهو التعبير المهذّب الذي يصف التعذيب، في نهاية المطاف). وفي المقابل، نشرت «مستهلكون من أجل السلام» Consumers for Peace، وهي منظمة أهلية مناهضة لاحتلال العراق، تقريراً يحصي مختلف أنساق ما ترتكبه قوّات الاحتلال الأمريكية من انتهاك لحقوق الإنسان في العراق: مجازر جماعية، هجمات مباشرة على المشافي والمستوصفات، وحصيلة قتلى تتجاوز 655 ألف ضحية. وأماً على جبهة لجان البحث والتقصي والتمحيص والدراسة، فإنّ الأشهر اليوم هي «مجموعة دراسة العراق» التي تتألف من خمسة جمهوريين وخمسة ديمقراطيين، والتي يقودها وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر الثالث، مناصفة مع السناتور الديمقراطي لي هاملتون الذي ترأس لجنة تحقيق 9/11، وتهدف إلى إيجاد حلّ للمشكلة العراقية.

مشكلة؟ ولكن... أهي مشكلة، أم مسألة، أم قضية، أم مستنقع؟ والحلول التي ستُقترح، هل تخدم عراقاً ديمقراطياً، أم عراقاً منقسماً إلى طوائف وإثنيات، أم تخدم مصالح إيران وتركيا قبل خدمة طموحات العراقيين؟ أم أنّ غرض المجموعة هذه لا يكاد يتجاوز العثور على «منافذ خروج»، حتى لو اتخذت صفة إجراءات تكتيكية محضة لا صلة تجمعها بالاستراتيجيات الكبرى، من هذا المأزق العسكري والسياسي والأمني، وتتفادى بذلك ـ او تقلّص كثيراً آلام ـ احتراب داخلي شبيه بما جرى خلال حرب فييتنام؟ وهل تنوي اللجنة مساعدة البيت الأبيض، كما ألمح بيكر في سلسلة تصريحات، أم إحراجه الإدارة وكشف أخطائها كما يريد الشارع الأمريكي؟

هذه أسئلة لا مجال للإجابة عنها قبل انتخابات الكونغرس الشهر القادم، فضلاً عن اللافتة العريضة التي رفعها بيكر منذ الساعات الأولى لإعلان تشكيل المجموعة: لا عصا سحرية أيها السيدات والسادة! وفي الانتظار، من المشروع أن يتوقف المرء ملياً عند دلالة خاصة في وجود بيكر على رأس المجموعة، هي انّ إدارة بوش الابن عادت (ريثما يتضح أنّ العود أحمد أو أسوأ!) إلى واحد من أخلص حلفاء آل بوش، في إشارة لا تخفى إلى أنّ الإفلاس ضارب أطنابه في صفوف غلاة أهل اليمين الجمهوري، من محافظين قدماء ومحافظين جدد على حدّ سواء. ولا مناص، استطراداً، من ارتداد (البعض يعتبرها ردّة) إلى هذا المخضرم الذي يخطو نحو الثمانين، والذي خدم ستة رؤساء أمريكيين، ولم يكن شديد الحماس لاحتلال العراق، وآخر أعماله كتاب عجيب العنوان: «إكدحْ، إدرسْ، وابتعدْ عن السياسة»!

والحال أنّ هذا المؤلف الأخير، حتى وإنْ تنطع لاستعراض «مغامرات ودروس حياة في العمل العامّ غير متوقعة» كما يقول العنوان الفرعي، لا يختصر على أي نحو أفكار الرجل وعقيدته وخطوط تفكيره في السياسة والاجتماع، وبصدد أمريكا والعالم ما وراء المحيط. هذه نجدها، في أفضل تجلياتها على الأرجح، طيّ صفحات كتاب سابق أصدره بيكر أواخر العام 1995، بعنوان «سياسة الدبلوماسية: الثورة، الحرب، والسلام». وضمن معايير متعددة، بينها دون ريب تلك المتصلة بحكمة قديمة حول قيام «صانعي التاريخ» بتسجيل بعض قراءاتهم في ما يزمعون صناعته، يعدّ هذا المجلد الضخم (687 صفحة) الوثيقة الأغنى التي تملكها الإنسانية حول الأطوار التي سبقت وأعقبت الولادة الأولى لطبعة جورج بوش مما سُمي في حينه بـ «النظام الدولي الجديد».

وثمة، هنا أيضاً دلالة خاصة مفادها أنّ بيكر أصدر الكتاب بعد أن أُجبر على الهبوط من هرم الدبلوماسية العليا، ومغادرة سدّة اتخاذ القرار حتى قبل أن يغادر سيّده ورئيسه وصديقه بوش الأب المكتب البيضاوي في البيت الأبيض. ولهذا فإنّ أفضل ما يعثر عليه المرء بين دفتي الكتاب يدور حول سلسلة الأولويات التي اتضح أنها كانت تهيمن على أدمغة رجال مثل بوش وبيكر وبرنت سكوكروفت (مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق)، وكيف تبدو اليوم غارقة في إشكاليات معقدة تمّ تجاهلها طيلة عهد الإدارة. وثمة جدول الأعمال الأمريكي الداخلي المتعلق بالاقتصاد والأعمال والمجتمع، ونقاط الاحتقان الدائمة حول مواصلة العمّ سام نزعته العتيقة في المرابطة وراء المحيط والانعزال عن انسانية منخرطة في هدم جدار برلين وإعادة اكتشاف السوق والليبرالية (أين أمريكا اليوم من أمريكا الأمس القريب!)، وتكوين وإعادة تكوين لخرائط التوازنات الجديدة الجيو ـ استراتيجية والجيو ـ اقتصادية بين أمريكا واليابان وأوروبا الغربية والشرق الباسفيكي...

وبين الكثيرين الذي راجعوا الكتاب في حينه، كان لنا نحن العرب حظّ إدلاء البروفيسور فؤاد عجمي بدلوه، حيث تميّز غيظاً لأن بيكر وضع السلام العربي ـ الإسرائيلي على رأس أولويات جهازه الدبلوماسي، وأهمل متابعة عمليات «عاصفة الصحراء» إلى خواتيمها المنطقية المتمثلة في إسقاط نظام صدام حسين، كما تجاهل «انتفاضة الشيعة» ـ والتعبير للبروفيسور ـ في جنوب العراق، وغضّ الطرف عن حرائق البلقان. وغضب عجمي كان شديداً في الواقع، وإلى درجة تجعل المرء يتعاطف مع ذلك البائس بيكر، الذي واصل جهله الفاضح بـ«التواريخ الدفينة لقبائلية أوروبا» ولكنه اجتهد كثيراً (أي من اللزوم، حسب محاججة عجمي) لتعلّم المزيد عن منطقة رجيمة تدعى الشرق الأوسط، ثمّ أعلن مع سيّده الرئيس أن أمريكا دفنت عقدة فييتنام في رمال الخليج، ولكنه أعاد إحياءها في البلقان.

فوق ذلك، وجّه البروفيسور العديد من أصابع الاتهام إلى كامل الآلة السياسية ـ الاستراتيجية التي تولّت تحريك عجلات إدارة بوش، بدءاً من بيكر وسكوكروفت وانتهاء بكولن باول (رئيس الأركان آنذاك) ودنيس روس (منسّق سلام الشرق الأوسط). هذا، في يقين عجمي، هو الفريق الرثّ الذي حاول إسقاط ثلاث حكومات (ليبيا، العراق، وزارة اسحق شامير) فلم ينجح سوى في مكان واحد: إسرائيل! وهذا هو الفريق الذي حجب الدعم عن التيارات الديمقراطية والليبرالية الروسية المناهضة لغورباتشوف، وأغمض العين عن عذابات شعوب البلقان، واكتفى بتوظيف كامل طاقات الآلة الدبلوماسية لصناعة السلام في أزقة غزّة ونابلس والخليل... يا للعار!

ويا للعار في موقع آخر، أكثر طرافة هذه المرة: كيف تجرأ بيكر، أثناء واحدة من جولاته المكوكية «المحمومة» في التحضير لمؤتمر مدريد، على أداء ممارستين متناقضتين فظيعتين في عين البروفيسور: الأولى حصر إسحق شامير في الزاوية الصعبة، والثانية احتساء الليموناده مع حافظ الأسد... مرّتين، لا مرّة واحدة؟ ومن أعطى بيكر الحق في اختيار مدريد بالذات عاصمة لهذا المؤتمر، عشية الذكرى الخمسمئة لطرد اليهود والمغاربة (وليس العرب، لأن البروفيسور حريص على عواقب اللفظ والتلفظ)؟ ولهذا فهو يسخر من إشارة بيكر إلى أن الإسبان سارعوا إلى إزالة لوحة جدارية ضخمة كانت تتصدّر قاعة القصر الملكي حيث انعقد المؤتمر، لأنّ اللوحة كانت تمثّل الملك شارل الخامس وهو «يسفك دماء المغاربة».

المهمّ في الأمر أنّ عجمي عكس آنذاك ما يعيبه رهط المحافظين الجدد على بيكر ومدرسته، خصوصاً وأنّ الأخير صرّح مؤخراً بأنه يستغرب إصرار الإدارة على رفض التحادث مع إيران وسورية: «في عهدي زرت دمشق 15 مرّة من اجل السلام، والمرء يتباحث مع عدوّه لا مع صديقه». بيد أنّ الباطل الذي يريده أمثال عجمي في انتقادهم خيارات بيكر، يبدو اليوم كلام حقّ بسيط إذا سار المرء خطوة حذر واحدة وراء تشكيل مجموعة الدراسة هذه، ونظر بعين الشكّ الديكارتي إلى أغراضها البعيدة لا القريبة. ذلك لأنّ تاريخ «العقائد» التي اعتمدها رؤساء الولايات المتحدة، بصرف النظر عن انتمائهم إلى الحزب الجمهوري أو الديمقراطي، وكان بيكر أحد مهندسيها في طور ما بعد انهيار جدار برلين وتفكيك المعسكر الإشتراكي وتقويض نظام القطبين، لا تترك لأيّ رئيس أمريكي هامش مناورة واسعاً في التملّص من «التزامات» الولايات المتحدة الخارجية.

بين هذه، مثلاً:

ـ الرئيس هاري ترومان في عقيدته المسماة باسمه، في الخمسينيات، والتي هدفت إلى حماية المصالح الأمريكية شرقي المتوسط وتأسيس دولة يهودية في فلسطين؛ ودوايت أيزنهاور في استخدامه حرب السويس عام 1956 من أجل محق النفوذ الإمبراطوري لكلّ من بريطانيا وفرنسا، وإحلال الإمبراطورية الأمريكية محلّ الجميع، مرّة وإلى الأبد. وفي الستينيات، ليندون جونسون في تكوين تحالف استراتيجي أمريكي ـ إسرائيلي ضدّ التحالف السوفييتي ـ العربي الذي حاول الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر هندسته، فتلقى ضربة قاصمة في حرب الأيام الستة عام 1967. وفي السبعينيات ريشارد نكسون وتوظيف حرب تشرين (أكتوبر) 1973 من أجل فرط التحالف أعلاه، وإعادة مصر إلى الحظيرة؛ والرئيسان جيرالد فورد وجيمي كارتر في ترجمة هذا الخط على الأرض (اتفاقيات كامب دافيد) ومحاولة توسيعه لكي يشمل صيغة تحالف أمريكي ـ إسرائيلي ـ عربي غير معلن، تنخرط فيه الدول العربية «المعتدلة» وتسكت عنه الدول العربية «الراديكالية» التي أخذت تتحسس ارتباك السياسة الخارجية السوفييتية. وفي الثمانينيات رونالد ريغان وحقن هذا المشروع التحالفي بأسباب الحياة كلما ساورته عوامل الضعف أو اختلاط الأوراق والمعادلات، خصوصاً بعد الثورة الإسلامية في إيران، واندلاع الحرب العراقية ـ الإيرانية...

وليست تراثات جورج بوش الأب وبيل كلينتون وجورج بوش الأبن سوى تنويعات على هذا النحو أو ذاك، تستكمل تلك العقائد في مبدأ «النظام الدولي الجديد» أو «الإحتواء المزدوج» أو «الضربة الاستباقية» أو... «الشرق الأوسط الجديد»! وما يفعله بيكر اليوم ليس سوى نزهة قصيرة في الوقت الضائع، تمكّن البيت الأبيض من التقاط الأنفاس بين عواقب عقيدة ومتاعب أخرى، وسط رمال عراقية متحركة أخذت تغرق فيها الجيوش والقوى والتحالفات والطوائف، في مشهد زاخر متفجر بات أشدّ احتشاداً بالمخاطر من أن تعالجه مجموعة دراسية، أياً كانت هوية فرسانها. والأرجح، من جديد، أنّ هذا العود لهذا المخضرم جيمس بيكر لن تكون حميدة لشعب العراق، بل لعلها لن تخدم إلا الذين صرف الرجل ردحاً طويلاً من الزمن في خدمتهم: آل بوش!

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

لا عزاء.. لطباطبائي وبارزاني وطالباني!

هارون محمد *

■ يبدو ان فريقاً من السنة العرب، وخصوصاً الذين يشاركون في ما يسمى بالعملية السياسية، استبشر بتصريحات الرئيس بوش الاخيرة التي اعلن فيها رفض إدارته لتقسيم العراق الى ثلاثة اقاليم (سنية وشيعية وكردية) تتمتع بالحكم الذاتي، لأنها ترى في ذلك اتساعاً للفوضى في العراق بحجم اكبر بكثير مما يحصل الان، فيما انكفأت القيادات الكردية على اعقابها، وتوارى عبد العزيز طباطبائي الحكيم عن الانظار، ويقال انه خاتل في سرداب نجفي مظلم.

وجاء أول رد فعل وترحيب من الفريق السني، على لسان (رئيس مجلس النواب) الدكتور محمود المشهداني الذي أبلغ راديو (سوا) بأنه بات يعتقد ان الامريكان بدأوا باستخدام أدمغتهم في التعاطي مع الشأن العراقي بعد ان ظلوا لأكثر من ثلاث سنوات من الاحتلال يستخدمون أحذيتهم، طبعاً لم يتحدث المشهداني عن أسباب هذا التحول الآن، ولماذا حدث في هذه المرحلة بالذات؟ فالرجل كما هو معروف (درويش) في تفكيره ورؤيته، ولا يدخل في التفاصيل رغم انه يفاخر بكونه صوفياً.

وصحيح ان الامريكيين بدأوا في تغيير سياساتهم في العراق منذ حزيران (يونيو) الماضي، وشرعوا في التخلي تدريجياً عن استراتيجية (تشيني ـ رامسفيلد) وهي استراتيجية قامت على مفهوم (الفوضى الخلاقة او البناءة) وترتكز على الانحياز الامريكي لفئات وتنظيمات معينة ضد اخرى، الامر الذي يخلق فوضى سياسية وصدامات اجتماعية ومواجهات طائفية وعرقية، سرعان ما تنتهي ويتعب المتحاربون وتتقدم امريكا كمنقذة وتبدأ ببناء العراق الجديد وفق مقاساتها، ولكن الصحيح ايضا ان هذه الاستراتيجية واجهت الاخفاق منذ تطبيق بول برايمر لصفحاتها الاولى، في نهاية آيار (مايو) 2003، وثبت ان التخطيط على الورق شيء، والتنفيذ على الارض شيء آخر، فلم يتحسب صناع القرار في واشنطن الى جملة حقائق سياسية وتأريخية وثقافية واجتماعية راسخة في الوجدان العراقي تتصدى لكل اشكال الاحتلالات الاجنبية وترفض نفوذها ودعواتها وتدخلاتها مهما كانت صورها وصيغها، وهذه الحقائق تراكمت وتعززت جيلاً بعد جيل في التأريخ العراقي المعاصر منذ اربعينيات القرن الماضي، وخصوصاً عقب حركة الجيش العراقي ضد الهيمنة الانكليزية في آيار (مايو) 1941 بقيادة المرحوم رشيد عالي الكيلاني والشهداء العقداء الاربعه (صلاح الدين الصباغ وكامل شبيب ومحمود سلمان وفهمي سعيد)، وبالتالي فان غالبية العراقيين حساسون جداً من الاجنبي ويرتابون منه، الى درجة المبالغة في كثير من الأحيان، وهناك حكاية شهيرة حدثت في منتصف الستينات، عندما صعد شخص اجنبي سيارة (تاكسي) وطلب من سائقها بعربية مكسرة ان يوصله الى معسكر الرشيد، فما كان من السائق الا وانطلق به الى مركز شرطة السعدون وسط بغداد، وأنزله من السيارة بالضرب والدفع وقاده الى المركز طالباً من المسؤولين فيه اعتقاله، وبعد التحقيق تبين ان الاجنبي خبير روسي متعاقد مع الحكومة العراقية ويعمل في المركز المهني لقطع المعادن ومقره في معسكر الرشيد، وتدخلت السفارة السوفيتية في حينها، ورفعت شكوى على السائق الذي أحيل الى المحكمة والتهمة جاهزة، اعتداء على اجنبي متعاقد مع الحكومة، وعندما سأل القاضي السائق المتهم، لماذا قمت بهذا العمل وخلقت مشكلة بين الدولتين؟ رد السائق ببساطة متناهية: والله لو طلب مني ايصاله الى ملهى او فندق او دائرة مدنية لأوصلته بدون أجرة وعلى حسابي، ولكن الى معسكر الرشيد فالمسألة صعبة سيدي القاضي!

ان المصيبة التي أوقع الامريكان أنفسهم فيها وهم يحضرون لاحتلال العراق، تصديقهم لما نقله اليهم عدد من المخبرين والجواسيس والعملاء، بان العراقيين سيخرجون عن بكرة ابيهم لاستقبال الجنود الامريكيين بالورود والرياحين، دون ان يعوا ان كلام هؤلاء لا يستند الى الواقع وانما مجرد ادعاءات وتلفيقات، والغريب في الأمر ان إدارة بوش تكاد تكون الوحيدة من الإدارات الامريكية المتعاقبة التي لم تأخذ بتقارير وكالتها (السي اي ايه) من نتائج الحرب على العراق، وهي بالتأكيد أخلص وأحرص على بلادها من شلة المتعاونين والقباضين واغلبهم من مقطوعي الجذور والأصول والوافدين على العراق، او المتضررين من تقدم العراق ونهضته. ولم يكن بوش وحده الذي صدق ان الحرب على العراق نزهة، بل ان وزير دفاعه رامسفيلد دخل في جدل ساخن مع قادة الجيش الامريكي الذين طالبوا بارسال المزيد من القوات لخوض الحرب وراح يتهكم عليهم، كما ظهر في الصحافة الامريكية فيما بعد، ووصل الأمر بنائبه السابق وولفوتز وهو احد مهندسي الحرب يقول في محاضرة له نهاية شباط (فبراير) 2003 في مركز درسات صهيوني التمويل والادارة، درب مجموعة من المتعاقدين مع البنتاغون وعددهم 182 شخصاً عينوا مستشارين في العراق عقب احتلاله، ان (تحرير) العراق من الدكتاتورية سيقابل بترحيب شعبي واسع ولدى الإدارة ـ يقصد الامريكية ـ مؤشرات ميدانية تؤكد ذلك، طبعاً لم يسأله احد من الحاضرين، من اين استقيتم هذه المؤشرات الميدانية؟

لقد أدرك الامريكان متأخرين أنهم ورطوا وتورطوا في العراق، ولم ينتبهوا الا بعد ان اوجعتهم المقاومة العراقية والحقت بهم خسائر في الارواح والمعدات لا يعلنون الا عن جزء يسير منها، فهم ينشرون أرقام قتلاهم من قوات المارينز فقط، ويستبعدون اسماء المرتزقة العاملين في شركات الحماية والمقاولين والمجندين من حملة بطاقة الـ(غرين كارد) واعدادهم بالالاف، إضافة الى ما خسروه من أموال بلغت حسب التقديرات الامريكية نفسها اكثر من 300 مليار دولار.

واكتشف الامريكان ان القيادات الكردية والتنظيمات الشيعية هي مجرد فقاعات، الاولى تتحكم بمنطقة شمالي العراق بالقوة والإكراه واسلحة البيش ميركه، ومع ذلك تشهد المنطقة الكردية بين فترة واخرى تظاهرات شعبية احتجاجا ونقمة على حزبي بارزاني وطالباني تقابل بقسوة مفرطة، والثانية مرتبطة بايران وتتلقى منها التوجيه والتمويل والتسليح، واكتشفت ايضاً ان النخب الشيعية العربية من أكاديميين ومثقفين وعسكريين ووجهاء وعشائر وحرفيين ونقابيين لا يطيقون النزعات الطائفية التي تروج لها الاحزاب والميليشيات الشيعية، وبالتأكيد فان أمريكا لا يمكن ان تفرط بتركيا الحليفة لها والعضو في حلف (الناتو) من اجل تسمين دبين كرديين، ولا توافق على استحواذ ايران واحتلال اقليم عربي جديد في الخليج زاخر بالنفط يضاف الى الاقليم العربي الاول المحتل الاحواز (ابو النفط) وجزء من الاستراتيجية الامريكية في احتلال العراق هو النفط. ولا نريد هنا ايراد كلام قالته كوندليزا رايز خلال اجتماعها مع وزراء خارجية ثماني دول عربية في القاهرة قبل اسبوعين بهذا الصدد، حتى تظهر النتائج.

الامريكان أصبحوا الان يتوسلون بشخصيات وحكومات ودول عربية، لاقناع رموز وقيادات السنة العرب في العراق ابداء قليل من (التساهل) مع زلماي خليل زاد والجنرالين ابو زيد ومساعده كيسي، بشأن خطوات يستعدون لاتخاذها قبل نهاية العام الحالي، بل لقد ذهبوا حتى الى الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، الذي لا يهضمونه، ووسطوه بهذا الشأن، وكاتبوا الرئيس السوري بشار الاسد الذي كانوا لا يطيقونه بالمضمون ذاته، اما مناشداتهم لرؤوساء وملوك وأمراء الدول العربية الصديقة والحليفة لهم، فقد اصبحت في الفترة الاخيرة أكثر الحاحا.

وعندما قلنا في اكثر من مناسبة ان السنة العرب هم الرقم الصعب في اي معادلة او قضية سياسية، وهم من يحدد مستقبل العراق، ولن تستطيع قوة او دولة مهما بلغت في قسوتها وشراستها ان تلوي اعناقهم او تصادر حقوقهم، فاننا كنا ننطلق من حالة وطنية قائمة وثابتة، والدليل على ذلك ان القوات الامريكية لم تترك سلاحاً مدمراً الا واستخدمته ضد محافظاتهم ومناطقهم ومدنهم، والنتيجة كانت تصاعد مقاومتهم واتساع فعالياتهم، والتقارير العسكرية الامريكية اضطرت الى الاعتراف بخروج محافظات الانبار وديالى والموصل وصلاح الدين وكركوك واحياء كاملة من العاصمة واجزاء كبيرة من محافظات الحلة والكوت والديوانية عن السيطرة الامريكية.

وصار واضحاً للامريكان ايضاً ان جبهة التوافق التي تسلم قياديوها مناصب حكومية ووزارية لا تمثل غير جزء يسير من السنة العرب، فالقوة الحقيقية للسنة العرب تتمثل في التيار العروبي الواسع والعريض بضمنه حزب البعث واغلبية قيادات وضباط الجيش العراقي والقوات المسلحة والتصنيع والكفاءات الإدارية، إضافة الى ما يمتلكه السنة العرب من قدرات القيادة والادارة والخبرات والتجارب والمال والنفوذ والعلاقات العربية والإسلامية، هذه هي الحقيقة التي غابت او غيبت عن بوش، لذلك عندما يعلن رفضه لتقسيم العراق الى أقاليم وفيدراليات فهو يتخذ هذا الموقف ليس حباً بالعراق أو حرصاً على وحدته وسيادته، وإنما لأنه يعرف تماما ان السنة العرب لن يقبلوا بأي اقليم او فيدرالية، حتى لو اعطي لهم ثلاثة أرباع العراق كما قال الشيخ حارث الضاري، لأنهم وطنيون عراقيون وقوميون عروبيون، وهم ليسوا مثل عبدالعزيز طباطبائي الحكيم الذي يبيع الوطن من اجل اقليم، ويبيع العراق من اجل جيب عميل، وهم أيضاً عصريون ومتمدنون وحضاريون لا يرتبطون بمرجعيات طائفية ومذهبية يعيش رجالها في الجحور وأقبية الظلام، ويصدرون الفتاوى المتخلفة، ودعوات اللطم وضرب الصدور والرؤوس وجباية الاتاوات باسم الخمس والزكاة.

الأمريكان سينسحبون عاجلاً ام آجلاً، هذه مسألة لا نقاش فيها، وعندها سنرى ان كان بمقدور عبدالعزيز طباطبائي وابراهيم جعفري واحمد الجلبي وموفق ربيعي وهادي العامري وجلال الصغير ومسعود بارزاني وجلال طالباني ووفيق السامرائي وسعدون الدليمي ومثال الالوسي ومن لف لفهم، ومن هو على شاكلتهم، ان يبيتوا ليلة واحدة في بغداد، عندما تلغى المنطقة الخضراء، وتختفي الهمفي والهمرات، وتغيب طائرات الاباتشي والبلاك هوك، ليله واحدة فقط!

* كاتب وصحافي عراقي مقيم في لندن

اقتسام الأسلاب في شرق السودان

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

مرة أخرى شهدنا توقيع «اتفاقية سلام» سودانية (في بلد أجنبي بالطبع)، وسجلت الكاميرات الحدث التاريخي، وتم تكرار نفس البنود المملة عن اقتسام السلطة والثروة والعدل ورد الحقوق إلى أهلها. ثم ابتهج بالانجاز من ابتهج واستاء من استاء.

(2)

هاهنا عبقرية سودانية في حل مشاكل ما كان ينبغي أن توجد أصلاً، وذلك بحل يمهد لمشاكل أكثر. الحل غالباً ما يكون بتزاحم الفرقاء على المناصب والمغانم، وذلك بدون مؤهلات سوى المشاركة في الإثم والعدوان، وتدمير مقدرات البلاد، والولوغ في العمالة للأجنبي.

(3)

الذي يجمع بين أعضاء ما يسمى بحكومة الوحدة الوطنية في السودان هو أنه ليس من بينهم إلا من هو ملوث الأيدي بدماء الأبرياء وأعراضهم أو المال الحرام. فأقل التقديرات تضع من قتل في الحروب من السودانيين في العقدين الماضيين، أو تعرض للتهجير أو ضياع ماله وانتهاك حقوقه بالملايين. وإذا أرادت الشرطة يوماً أن تبحث عن المسؤولين عن هذه الجرائر، فيكفيها أن تغشى الاجتماع الأسبوعي لمجلس الوزراء.

(4)

لعالم الاجتماع والمؤرخ الأمريكي المرموق شارلز تيلي نظرية عن نشأة الدولة في أوروبا الغربية، مفادها أن الدولة نشأت دائماً في هيئة «عصابة ابتزاز» أو عصبة فتوات ولا تزال تحمل آثار هذه النشأة. فالدولة هي مصدر معظم الأخطار التي تدعي أنها قامت للحماية منها (مثل الظلم والحروب)، تماماً كما أن الفتوة يعرض «الحماية» على ضحاياه من سطوته مقابل جعل معلوم. هذه النظرية تنطبق إلى حد كبير على الدولة العربية والافريقية المعاصرة، سوى أن عصابات النهب هناك لم تتحول إلى دولة بعد. أما في السودان فإنها تجد تطبيقاً بالمقلوب، لأن الدولة هنا تحولت إلى تحالف عصابات نهب مسلح، وليس العكس، حيث أصبح المؤهل الأول، إن لم يكن الوحيد، لدخول الحكومة أن تكون زعيم عصابة مسلحة.

(5)

هذه الحالة المأساوية تحولت إلى مشهد كوميدي في الأسبوع الماضي حين هدد أحد لوردات الحرب ممن تقلب في ولاءاته كل متقلب بإشعال الحرب في الجنوب من جديد إذا لم تستجب مطالبه بضم أنصاره إلى الجيش بالرتب التي يرى أنهم يستحقونها. وليس لخصومه أي حجة في رفض طلباته لأن مبدأ الابتزاز الذي استعصم به هو نفس المبدأ الذي دخلوا السلطة من بابه.

(6)

لا يعني هذا بحال أن ما يتحدث عنه من حملوا السلاح من مظالم لا يعبر عن واقع ماثل. الإقليم الشرقي يعتبر بحق واحد من أكثر الأقاليم تخلفاً. وقد زرت ذلك الإقليم وطفت ببعض مناطقه فشهدت العجب العجاب، وما سمعت كان أكبر. ولكن الزعم الرائج بأن المسؤول عن تخلف هذا الإقليم أو ذاك هو مؤامرة من عصبة معينة من أهل شمال ووسط البلاد هو خبال لا أساس له من الصحة، لأن النخبة المزعومة أعجز من تتآمر على شيء، ولو تآمرت فإنها عاجزة عن التنفيذ.

(7)

المسؤول عن التخلف في معظم مناطق البلاد هو سوء الإدارة وقصر النظر والعجز السياسي عند النخب التي حكمت. وفي الجنوب تحديداً فإن المسؤول المباشر هو الحرب التي شنتها النخبة في الجنوب قبل استقلال البلاد، ثم الفساد والتخبط والاستقطاب القبلي الذي دمر الحكم الذاتي بعد اتفاقية أديس أبابا، ولا يزال ينخر في الجسم السياسي للجنوب.

(8)

الحل لمشاكل البلاد إذن يكون بإقامة الحكم الراشد الشفاف الذي يراعي المصلحة المشتركة للجميع، ويستخدم الأكفأ في مواقع القرار، ويستجيب لرأي الشعب. ولكن تولية أمر البلاد لتحالف من عصابات القتل والتخريب لا يكون، بأي حال من الأحوال، هو الطريق الأقصر إلى مثل هذه الغاية.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
**Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publ